مكانة بنك مصر

ناحية من النشاط الثقافي
في هذه المؤسسة القومية

ان الذين يحسبون ان نشاط بنك مصر وهذا العديد من الشركات التي أنشأه مقتصرٌ على الميادين المالية والاقتصادية يخطئون اكبر الخطإ . فلقد كانت هذه المؤسسات منذ ان خرجت الى الوجود حتى اليوم معاهد للتربية الاجتماعية والثقافية تسير فيها الجهود العلمية جنباً الى جنب مع الجهود الاقتصادية

هذه المؤسسات مدارس ومعاهد يتعلم فيها فريق كبير من الشبان فنوناً ما فتئت حاجتنا اليها قائمة ملحة . فيها يدرَّبون على هذه الفنون تدريباً عمليًّا على هدى التوجيهات السليمة التي يلقيها المسؤولون في البنك وشركاته عن تسهيلها على العاملين في هذه المنشآت ، وتوفير أسبابها لهم . فاذا كان هذا المصرف القومي — هو وما ترتب عليه من جهود غالية هي هذه الشركات لغاية الأغراض — قد سدّ نقصاً كبيراً في الاقتصاد المصري ، فانهُ قد سدَّ كذلك نقصاً لا شك فيه في كثير من الفنون العملية ، فضلاً عن مساهمته في تشجيع كل ما من شأنه أن ينهض بالعلم وأدواته

هذه حقيقة يكاد يعرفها كل من في مصر ، وتشهد عليها الأمثلة الكثيرة من نشاط البنك وشركاته . تشهد عليها هذه البعوث التي يرسلها الى شتى البلاد الأوربية لتدريب العاملين فيه على ما يهمه ان يتوفر لشركاته من الخبرة الفنية والتزود من العلوم التي تتصل بما أعدوا انفسهم له من فنون. تشهد عليها بعثات شركة مصر للغزل والنسج التي قوامها عشرات من الشبان لدراسة ما يعني شركتهم من الفن والعلم . وتشهد عليها بعثات السينما والطباعة وغيرها التي أوفدها بغية الاستفادة بما يحصله اعضاؤها من البلاد التي تقدمتنا في هذه الفنون ، لانقلها واجادتها في مصر ، ورقية مستواها ، والوصول بها الى ما يقدر عليه من كمال . تشهد على هذه الحقيقة كذلك تلك الاقسام العلمية الكثيرة التي انشأها فيه او في شركاته ، ورصد لها المختصين فيما يضيها من فنون وعلوم وهيأ لها كل ما يستطيع للانتاج الذي يفيد البلاد عامة قبل ان يفيد هذه المؤسسات خاصة. فقام بذلك بواحدة من المهام الكبيرة التي اخذ على عاتقه الاضطلاع بها مختاراً منذ ان اعلن رجاله

في سنة ١٩٢٠ وبعد جهد طويل أنهم عقدوا عزمهم — معتمدين الله — على ان يكون لمصر وللمصريين مصرف يفتح فتحاً قومياً في عالم الاقتصاد الاجنبي عما حتى وقتذاك

وان الذين يتتبعون نهضة الاقتصاد المصري ليعلمون ان بنك مصر الذي انشيء في فورة الافكار التي اعقبت سنة ١٩١٩ ، كان منذ انشائه معهداً قومياً للتربية الاجتماعية طالما سجل من التقاليد الصالحة في هذا الميدان ما هو حقيق بالفخر به . وجميع الذين يعرفون كيف انشئت شركات بنك مصر يعلمون الى جانب ما ذكرنا — ان كل مؤسسة تحمل اسمه لم تكن صدى لحاجة عارضة ، ولا رجعاً لفكرة طارئة ، او خاطر عابر ، ولكنها جميعاً — واحدة واحدة — كانت نتيجة لدرس علمي وفني طويل لم تدخر وسيلة مما يصطنع العلم والفن الا بذلت في سبيل التدقيق فيه ، وتمحيصه حتى تخرج هذه المؤسسات الى الوجود اقوى ما تكون ارتكازاً الى تطور العلم والفن في العصر الحديث . كذلك كانت مؤسسات بنك مصر ، كل منها — في الميدان الذي اختصت به — ثمرة لتمحين الجهود وغالى ما تعرف «الفنية العلمية» من دقة واستقصاء

وفي ان حياة هذه الدعامة ، الوطيدة على الزمن باذن الله ، والتي الرجالُ الذين عملوا في بنائها رعاية العلم والاسترشاد به ، واستصحاب الخبرين فيه ، حتى يضمنوا لما يقيمون عليه من مشروعات حياةً موفورة البقاء والنماء . وهل أبلغ في الدلالة على هذا الاتجاه الحميد من تلك المكافآت التي رصدوها للمتفوقين في الدراسات الاقتصادية في قسمي الليسانس والدكتوراه بكلية الحقوق ، انهاضاً لهمم وحثاً للمجتهدين ، وتسهيلاً على الباحثين في الشؤون العلمية الخالصة التي لا غنى للفنون العملية عنها . وهل دليل أوضح كذلك من الجمعيات العلمية التي يؤلفها موظفو شركات بنك مصر ، وهذه هي الجمعية العلمية في شركة مصر للغزل والنسج ومحلتها التي تعتبر أولى المجلات المصرية التي تبحث في المسائل الفنية البحت . وهذه مطبعة مصر لا تتأخر عن بذل كل ما من شأنه أن يوسع من انتشار الثقافة ، ويرفع من شأن كافة العلوم

كل هذه المجهودات وغيرها يبذلها بنك مصر لنهضة العلم في مصر بذلاً سخياً . فهو يدرّب ويربي ويعلم ويثقف كلما عرضت لهُ الفرصة ، بل كلما استطاع ان يخلق الفرصة لنشر ما يراهُ صالحاً لخير المصريين من المبادىء والتعاليم . ولم يقف بهذه الجهود عند الناحية في التثقيف العام ، ولكنهُ عمد الى أسرة البنك وشركاته ، فهيأ لأعضائها كل ما يملك من وسائل الاستزادة من العلوم بكافة أنواعها . وفي هذا السبيل أنشأ في داره الفخمة مكتبته الثمينة لتكون في متناول موظفيه وموظفي شركاته يجدون فيها ما يستكملون به أسباب تعليمهم ، وما يسهل عليهم أعمالهم بما يمدهم به من آخر ما وصلت اليه العلوم في شتى مرافق الحياة

ولقد يكون من الجناية على الحق والتاريخ ، ان لا نسجل في هذه السطور ، فضل صاحب

الفضل في انشاء هذه المكتبة النفيسة . فهي لم تولد مصادفة ، ولكنها أُسست بعد تفكير طويل وجمع دائب لتأمين المؤلفات والمصنفات

واذا كان سعادة طلعت حرب باشا هو الذي عمل — مع الأبرار الذين استمعوا الى ندائه — على إقامة بنك مصر للمصريين، ثم على رسم الخطط الأساسية لسياسة المصرف القومي والمجموعة الاقتصادية الكبيرة الشأن والعدد التي استندت اليه ، وحرص في هذا السبيل على ان يشمل نشاطه ميادين المال والاقتصاد والاعمال وميادين العلم والفن في وقت واحد ؛ فانهُ هو كذلك الذي هيأ لبنك مصر ان تكون لهُ مكتبة قليلة النظائر — فيما نعلم — بين مكتبات المنشآت العامة في هذه البلاد

واذا كان يحملي من لا يلتفت الى الصفة العلمية التي لبنك مصر وشركاته الى جانب الصفة العملية ، فان من لا يلتفت الى جميع وجوه هذه الشخصية الكبيرة التي رعت الاقتصاد القومي بحق واقتدار يخطيء كذلك أكبر الخطإ

جمع طلعت حرب باشا هذه المكتبة لنفسه أولاً . ولما كان يقدم دائماً أمره الضخم — بنك مصر — على كل ما عداه ، فقد وهبهُ إيَّاها بجهود سنوات طويلة من جمع واستقصاء

وخصص لهذه النواة المباركة طابقين في دار البنك . أخذت تنمو فيهما — برعايته وتعهده — حتى أصبحت من أغنى المكتبات المصرية في شتى العلوم والفنون

وتحوي مكتبة بنك مصر الآن ما يقرب من الخمسة عشر الفاً من المجلدات العربية والأجنبية ، في جميع فروع المعرفة ، في الأدب والتاريخ والاقتصاد والمحاسبة واللغات والطب والهندسة والفنون الصناعية والزراعية والتجارية ، وفي الفلسفة والدين والاجتماع ، وفي كل ما يتصل بكافة المعارف الانسانية في مختلف البلاد وشتى الأزمان . هذا فضلاً عن مجموعاتها الثمينة ومخطوطاتها النفيسة ، الى جانب هذا العدد الوافر من المجلات والمراجع والمستندات التي تصدر بمعظم اللغات الحية مما يردانها بانتظام . وقد بوّبت هذه المجموعة الضخمة من الكتب والمؤلفات والمصنفات والمراجع بطريقة علمية حديثة ، ورتّبت أنواعها وأجناسها وفصائلها ، وفهرست لها الفهارس ، ووضعت لها الجداول في نظام محكم سديد . كما أخذ في تبويب الصحف والدوريات وشتى المراجع المنتظمة الصدور بطريقة « التصنيف العشري » العالمية — وهي الطريقة التي وضعها المعهد الدولي للفنون المكتبية في بروكسل وأُخِذَ بها في جميع أنحاء العالم المتمدن — وهي المرة الأولى التي عُمِلَ فيها بهذا النظام في مصر

هذه هي مكتبة بنك مصر — بعض آثار طلعت حرب باشا — عَلَمٌ على العِلْم ، ومورد للثقافة ، ومنهل لا يغيض لمن أراد استزادة من المعرفة